(1)

لا إله إلا الله محمد رسول الله
صادق الوعد الأمين

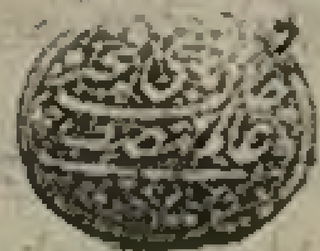
تحفة المحمدية في تفسير فاتحة الكتاب

٤٠٩





وقف السلطان الأعظم والخاقان الأكرم الأفخم
مؤسس العدل والإحسان ومروج أحكام الأمور بالكتاب والبرهان
السلطان ابن السلطان السلطان أبو الفتوحات والمغازي
محمود خان بن السلطان مصطفى خان أيد الله دولته
الظاهرة وخلد خلافته الباهرة وأنا الفقير
[illegible] مصطفى ناظر المفتش بالحرمين
الشريفين المحترمين
غفر له



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى عين الاعيان بفيضه الاقدس وكون الاكوان بجلى جلال
ذاته وعظم بكمال صفاته عن شوائب النقص والامكان وجعل نوع الانسان
من بينهم مخصوصاً ان يكون قابلاً للعلم والعرفان كما قال الرحمن علم القران خلق
الانسان علمه البيان • والصلوة والسلام على اكمل خلقه واتم خلقه محمد الذى
توقد من مشكات وجوده انوار الانبياء بالكمالات والعرفان وعلى اله
وصحبه يبتغون الفضل من الله والرضوان • اما بعد فيقول الفقير الى الله
الغنى القدير السيد عبد الله بن السيد حسين غفر الله ذنوبهما بحق شهيد
بدر وحنين لما كان المقصد الاقصى للعلماء الاعلام ورثة الانبياء عليهم
السلام وهى منحصرة الى توفيق العلم مع العمل اذ العلم بلا عمل لاطائل فيه
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
وانما السبيل على ذلك المطلب الجليل بالوقوف على مواقف التنزيل والتدبر
فى اياته الكريم اذ هى المظهرة تفاصيل اسرار الدينية السلمية والمفسرة مشكلات
الايات الحكيم اذ بها يتوصل الى سعادات الدنيا والاخرة كما قال الله تعالى
خطاباً لحبيبه عليه السلام كتاب انزلناه اليك ليدبروا اياته وليتذكر

اولوا

اولوا الالباب وقال عز شانه افلا يتدبرون القران وفيهما الاشارة
الى التاويل وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم لكل اية ظهر وبطن ولكل
حرف حد ولكل حد مطلع عليه وفيما بيناه من الايتين والحديث دلائل واضحة
على التاويل بانه لا يتوقف على السماع بل الموقوف عليه انما هو العلم بسبب النزول
فعلى هذا لا بد للعلماء التدبر فى كلامه القديم الذى من اتبع هداه فقد نال
بمناه واما من عاند وعصاه واتخذ الهه هواه فقد هام فى موامة الهوى
فمن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور اعاذنا الله عمن كان كذلك وراس الحكمة
للمرء ان يكون مظهراً سر ما ورد فى كلامه المجيد ومن يؤت الحكمة فقد
اوتى خيراً كثيراً وذلك لا يحصل بمجرد ظاهر التفسير بل بكشف الاسرار
المتعلقة بظاهر الايات وباطنها ولهذا كان التدبر من كمال الايمان
ومحض العرفان فقد سنح لى ان اجمع تاليف بعض المحققين والمؤلفين كتاباً
يحتوى اسرار تاويل البسملة وفاتحة الكتاب مع ان البشرية محل النقايص
ولكن الله ولى الارشاد والتوفيق لاصوب نهج وطريق نعم المولى ونعم الرفيق
ومن يتوكل عليه فهو حسبه وسميته تحفة الحميدية لما فيه من اسرار
تاويلات معانيهما مستعينا بالله وعليه التكلان وهو المستعان
منه فى كل ان فها انا اشرع على ما هو المقصود بعون الله الملك المعبود
اعلم ان وجود العالم مسبب للاسماء الالهية واثرها فان لكل اسم من الاسماء
الالهية المتعلقة بالعالم كمالاً مخصوصاً يرجع اليه وذلك الكمال انما يحصل
ويبدو ويتم بظهور احكامه فى الاعيان الوجودية التى هى مجاليه ومعيناته
ومحل ظهور سلطنته وذلك لسؤال الاسم بلسان مرتبته من الاسم الاعظم
وهو الله فاذا ورد اسم من الاسماء الالهية بحيث لم يتقدم عليه كون ولم
يتاخر عنه مثل الله او الرحمن فالعارف ما يفهم منهما عند التامل الا كونهما
دالا على الذات بدون ملاحظة المعنى الوصفى المفهوم منه ويطلبه الكون

وإذا وقع الكون بعده كما في قوله تعالى الرحمن علم القرآن فالواو وقع بعد الرحمن
كون فالكون يتعلق به ويصدر عنه فيكون نتيجة فإن الاسم الالهي اظهر
عين الانسان فبالنظر الى وقوع الكون بعد الاسم يكون برهانا لميا لانه انتقال
من العلة الى المعلول والخالق الى المخلوق واذا ذكر الكون قبله كما في قوله اتقوا الله
فالتقوى لكون وما يتوقى منه الاسم وهو الله فالكون يكون دالا على اسمه تعالى
فيكون الاسم نتيجة على عكس الاول فيكون برهانا انيا اذ هو انتقال من المعلول
الى العلة فلا شبهة ان الاول من البرهان افضل من الثاني لان الاول يفيد لمية
الشيء بحسب الواقع والثاني يفيد انيته اي وجوده في الذهن فحاصل الكلام
ان العالم اثر للاسماء الالهية والصفات الالهية فكلما تقدم الاسم الالهي
على الاسم الكوني فالاول مؤثر والثاني اثره وكلما تقدم الاسم الكوني على الاسم
الالهي فالكوني يكون دالا عليه وان كان في الحقيقة اثره فعلى هذا القياس
المذكورة تلاوة العارفين كلام الله تعالى واذكارهم كما لا يخفى على من كان
من زمرتهم فاذا عرفت هذا فالباء في بسم الله ان كان للاستعانة يكون
تقديره باسم الله ظهر وجود العالم وبه تم امره نقل عن جعفر الصادق
انه قال حقيقة بسم الله بي كان ما كان وبي يكون ما يكون انتهى كلامه و
ان كان للالصاق يكون تقديره باسم الله اتصل قلبي اليه وبما جاء به النبي
او اتصل العالم بالصانع بمعنى اتصال المعلول بالعلة الموجدة والمبقية
والمعدمة والمعيدة فكانه تعالى قال بي قام كل شيء وظهر فان قيل ما
الحكمة في افتتاح كلامه المجيد بالباء من بين الحروف واسقاط الالف
من الاسم وتطويل الباء عوضا عن اسقاطها قلنا الباء بحسب الحمل اثنان اذ به
يشار الى المرتبة الثانية واما الالف فواحد به يشار الى المرتبة الاولى
لان الالف يدل على الذات البحت في مقام الوحدة بلا اعتبار الايجاد والباء
باعتبار الايجاد يدل عليه فلذلك كان الباء احق من الالف لعين الايجاد

بالنقطة

بالنقطة التي تحته وهي الموجودات كلها ولهذا قيل ظهرت الموجودات كلها من باء
بسم الله اذ الباء يلي الالف الموضوع بازاء ذات الله تعالى فكانت نقطة اشارة
الى العقل الاول الذي يسمى بالقلم وبحقيقة المحمدية فالكل واحد وهو اول
ما خلق الله المخاطب بقوله تعالى في حديثه القدسي ما خلقت خلقا احب الي منك
ولا اكرم علي منك بك اعطي وبك اخذ وبك اثيب وبك اعاقب وبك اعفو
وقال بعض العارفين الباء بداية مراتب الشهادة ونهاية مراتب الغيب يعني
بالله ظهرت الاشياء وبه خفيت وقال بعضهم افتتاح كلام الله تعالى واقع
بالباء واختتامه بالسين فتركب منهما لفظة بس يعني حسب فيكون معناه
حسبك ما اعطيناك من الكونين بين هذين الحرفين وقال بعض من اهل الاشارات
الباء اشارة الى بعض اسماء الله تعالى مثل البر والباسط والباطن والباقي وقال
سلطان العارفين وبرهان الواصلين محي الملة والدين قدس سره بالباء
ظهر وجود الامكان وتميز العابد عن المعبود هذا وروى عن امير المؤمنين علي بن
ابي طالب كرم الله تعالى وجهه ونفعنا الله تعالى بشفاعته انه قال انا نقطة تحت
الباء في البسملة وقيل للشبلي قدس سره انت الشبلي ام لا فقال انا النقطة تحت
باء البسملة والنقطة تميز وجود العبد بما تقتضيه حقيقة العبودية في قولهم
وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الباء بره بانبيائه بالهام
النبوة والرسالة والسين سره مع اصفيائه باعطاء القرب والانس
والميم منته على اهل ولايته المريدين بدوام نظره اليهم ثم لما كان مراتب
الموجودات اربعة الالوهية والروحانية والجسمانية والحيوانية اشار
اليها بقوله بسم الله الرحمن الرحيم الاسم والذات وصفتهما الجلال و
الجمال فبالباء اشار عز شانه الى ان وجود هذا العالم قائمة بي وليس لغيري
وجود حقيقي هذا واعلم ان للعالم وجودا اسميا مجازيا لا حقيقيا لان المراد
بالوجود الحقيقي كونه واجبا لذاته مستقلا غير محتاج الى المؤثر فما كان

محتاجاً الى المؤثر يكون ممكناً فما كان ممكناً يكون حادثاً وما كان حادثاً فهو محتاج
الى المؤثر فينتج ان المؤثر في وجود الممكن هو الايجاد بعد ان لم يكن فلا بد
ان ينتهي السلسلة الى علة لا تكون معلولاً لشيء قط والا لتسلسل وهو
محال والموقوف على المحال محال فالله تعالى واجب الوجود ووجوده عين ذاته
والعقل يحكم بداهة بان الشيء اذا لم يكن موجوداً لم يكن موجداً اذ الايجاد
فرع الوجود فلو كان الوجود علة لنفسه للزم تقدم الايجاد على الوجود
وهو محال ايضا فما كان ممكنا يكون محتاجاً اليه تعالى كما قال عز شانه وله
اسلم من في السموات ومن في الارض طوعاً وكرهاً اي انقاد والانقياد
انما يوجد بايجاده وينعدم باعدامه فيكون في طرفي وجوده وعدمه
محتاجا فكان مجازيا مرآة للمعنى الحقيقي والى هذا المعنى اشار بعض العارفين
بقوله ما نظرت شيئاً الا ورايت الله فيه وبعضهم قال ما نظرت شيئا الا ورايت
الله قبله ففي كل شيء له اية تدل على انه واحد فالاول كلام المريدين والثاني
كلام المرادين لان الاول انتقال من الاثر الى المؤثر وهو برهان اني والثاني
انتقال من المؤثر الى الاثر وهو لمي فلا جرم ان اللمي افضل من الاني كما ذكرنا
فتحقيق معنى بسم الله الرحمن الرحيم كونه بمعنى ان وجودي وصفاتي واسمائي
كلها قائمة بذاتي وما سواي وهو العالم موجود بايجادي وقائم بقيوميتي
انتهى واعلم ان صفة الجمال ما يتعلق باللطف والاحسان بمحض كرمه تعالى
لعبده لا باستحقاق العبد وصفة الجلال ما يتعلق بالقهر بمجرد عدله لمظهرية
العبد مطلقا لا بالظلم تعالى الله علواً كبيراً وباجتماعهما يحصل الكمال
فيوجد الجلال في الجمال كالهيمان الحاصل من الجمال الالهي وهو عبارة عن
انبهار العقل منه وتحيره فيه ويوجد الجمال في الجلال ايضا وهو عبارة عن
لطف الهي في قهر الالهي كما قال علي كرم الله وجهه سبحان من اتسعت رحمته
لاوليائه واشتدت نقمته لاعدائه هذا وقال سلطان العارفين محي الملة

والدين

والدين قدس سره ان معنى الالوهية هو استغناء الاله عما سواه واحتياج
جميع ما سواه اليه تعالى فالاول مفيد الجلال والثاني مشير الى الجمال والكمال
عبارة عن مجموع الصفتين المندرجتين في ذات الله تعالى كقوله تعالى فا
عبدوا الله مخلصين له الدين وقوله تعالى انتم الفقراء الى الله فامر الله تعالى
عباده في الايتين بملازمة هذا الاسم وجعله للعباد سبب الفلاح كما في قوله
تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وامر حبيبه صلى الله عليه وسلم بقوله
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون اي اعرض عما سواي واقبل الي بذكر هذا
الاسم انتهى ثم اعلم ان بسم اسم ناسوتي دال على المسمى اللاهوتي وهو الله
تعالى ولفظة الله اسم لاهوتي لذات واجب الوجود المستجمع لجميع المحامد الموصوف
بالصفة الجبروتية والفعل الملكوتي فبين الله تعالى بالابتداء ان دار
الكسب عالم الناسوت وبالختم على الرحيم الفعلي ان دار الاقامة والجزاء عالم
الملكوت فالالف في الله يدل على الاظهار والاثبات كما في قوله تعالى
الست بربكم
لست بربكم لدل على النفي والعدم فلما ادخل الالف على لست فدل على الاثبات
والايجاد وهذا دل على انه تعالى هو الموجد والمظهر والظاهر على ان تكرار
اللامين الدلالة على انه تعالى هو الذي له اللطف لمخلوقاته مرة بعد اخرى فا
لهاء يكون ضميراً في بعض الاحيان فبهذه الحروف الاربعة المركب منها اسم
الذات دلالة على ان الله تعالى بفضله ولطفه وكرمه انعم على مخلوقاته با
لنعمة الظاهرة التي من جملتها نعمة الايجاد بعد ما لم يكن وبالنعمة الالباس
بالصورة في الظاهر بعدما كان مخفيا في عالم الارواح كما في قوله تعالى ولقد
خلقناكم ثم صورناكم وبالنعمة الباطنة التي من جملتها نعمة الابقاء
في الوجود ونعمة اعطاء الروح في الاجساد فاذا سبقت رحمته على
غضبه بايجاد الخلق بالصفة الرحمانية التي هي عامة على جميع الموجودات
بالايجاد والرزق في النشاة الاولى وبالالقاء بالصفة الرحيمية في

الاخرى هذا وقيل ان الالف الاولى في الله اشارة الى الوحدانية واللام الاول الى المعرفة واللام الثاني الى الالاء والنعماء والسطر الذي بين اللامين الى المخاطبات الامر والنهي والهاء الى نهاية ما يمكن العبارة عنه من الحقيقة لا غير وقيل ان الالف اشارة الى قيام الحق بنفسه وانفصاله عما عداه فلا يمكن ان يتصل له شيء من خلقه كامتناع الالف بان يتصل بشيء من الحروف ابتداءً لاستغنائه عنها بل يتصل الحروف به على حد الاحتياج اليه قال الشيخ العارف بالله لما نطقنا بسم الله الرحمن الرحيم فلم يظهر الالف وجود فصار الاتصال من الذات فالله والرحمن اسمان للذات فرجع على نفسه بنفسه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك هذا وقال بعض المحققين في حال ما انا الله يعني انا الكلمة الجامعة الدالة على مسمى الله كما ان كلمة الله جامعة للاوصاف دالة عليه وقال هذا القول بعض من الصوفية في مقامين مختلفين فشتان بين مقام المعنى ومقام الحرف الذي وجد بها له تعالى فكان الحرف مثل اعوذ برضاك من سخطك وكان المعنى مقابلا بالمعنى مثل اعوذ بك منك فهذا الوجه غاية المعرفة فقد اشار بهذا القول الى من تجلت الافعال عليه بارتفاع حجب الاكوان انه توكل ومن تجلت عليه الصفات بارتفاع حجب الافعال انه رضي وسلم ومن تجلى عليه الذات بانكشاف حجب الصفات بان يكون مظهراً بقوله تعالى لا تبقي ولا تذر صدقني في الوحدة فصار موحداً مطلقاً فاعلاً ما فعل وقاريًا فتوحيد الافعال مقدم على توحيد الصفات وتوحيد الصفات مقدم على توحيد الذات والى هذه الثلثة اشار النبي صلى الله عليه وسلم في سجوده بان قال اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك معناه اعوذ بفعلك من فعلك واعوذ بصفتك من صفتك واعوذ بذاتك من ذاتك انتهى وذكر ابو الحامد الغزالي قدس سره

ان

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تخلقوا باخلاق الله وهذا القول يقتضي ان يكون للعبد من كل اسم من الاسماء الالهية حظ يليق العبد بالله تعالى فاقول حظ العبد من اسميه الرحمن الرحيم ان يكون العبد كثير الرحمة بان يرحم اولاً على نفسه ثم على غيره اما الرحمة لنفسه فباستكمال العبد القوة النظرية بتزكيتها عن الجهل وتحليتها بالعلم الحقيقي وهو المعرفة والقوة العملية بحفظ النفس عن طرفي الافراط والتفريط والزامها على الطريق المستقيم وهو التوسط بينهما باوامر الشريعة ونواهيها كما قال الله تعالى خطاباً لحبيبه عليه السلام واسماعاً لامته فاستقم كما امرت وعدم الاسراف في المطعوم والمشروب كما في قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فهذه المرتبة مرتبة الكاملين واما الرحمة على الغير فبتعليم العبد لغيره كلام الله القديم وارشاده الى الطريق المستقيم بالصدق مع الحق والخلق مع الخلق فهذه المرتبة مرتبة المكملين واما المرتبة العظمى فمختصة بكمالها لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى في حقه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال عز شانه وبالمؤمنين رؤف رحيم وقال عز شانه فبما رحمة من الله لنت لهم فجعله سبباً لوجود الخلق ورحمة لهم لان الله تعالى خلق روح محمد صلى الله عليه وسلم من نور جماله كما روي ان الله تعالى قال في حديثه القدسي خلقت محمداً اولاً من نور وجهي اي ظهرة وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله نوري واول ما خلق الله روحي واول ما خلق الله القلم واول ما خلق الله العقل والمراد منها شيء وهو الحقيقة المحمدية سمي روحاً لانه امر الله تعالى كقوله تعالى يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ولا يذهب عليك ان الامر صفة الامر ونوراً لكونه صافياً عن ظلمات الجلالية كما قال الله تعالى لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وعقلا لكونه مدركاً للكليات وقلماً لكونه سبباً لنقل العلم كما ان القلم سبب له في عالم الحروفات فالروح المحمدي اصل الكائنات

واولها وخلاصتها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انا من الله والمؤمنون
مني فعلم من هذا ان ارواح الانبياء عليهم السلام كانوا متعينا من نوره بلا واسطة
في عالم اللاهوت ثم الارواح في احسن تقويم وهو الوطن الاصلي ثم خلق العرش
من نور يمينه وخلق بواقي الكائنات من العرش ثم الامثل فالامثل حتى مدح النبي
صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه بالرحمة فقال ارحم امتي بامتي ابو بكر
فان قيل لم خص هذا الاسم من بين الاسماء بالذكر قلنا اختلف فيه فبعضهم
جعلوه بدلا وقالوا هو اسم الذات بدليل قوله تعالى قل ادعوا الله وادعوا الرحمن
ولهذا لا يطلق على غيره تعالى وبعضهم جعلوه اسم صفة ولكن من اخص اسماء
الصفات الى الذات لان الاسماء على نوعين اسماء صفات اللطف واسماء
صفات القهر وللرحمن خصوصية بالصفتين بان يوجد فيه اللطف والقهر كما يوجد
في الذات المقدس ويوجد فيه الايجاد والافناء وهذا من خصايص الذات الالهي
دون سائر الصفات فثبت انه اخص الاسماء الى الذات ولعلك تفرق بين
اسم الله والرحمن والرحيم فالله اسم ذات ليس فيه ظهور معنى الاشتقاق
ولهذا لما قال الله تعالى اعبدوا الله ما انكر الكفار وما قالوا ما الله وكذلك
قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وكقوله تعالى
وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله ولما قيل اسجدوا للرحمن فقالوا وما
الرحمن لان فيه معنى الاشتقاق من الرحمة وهي صفة موجودة فيهم فخافوا
من ان يكون معبودهم من جنسهم فانكروا وقالوا وما الرحمن هنا واما الفرق
بينهما مع انهما اسمان من الرحمة فان الرحمن خاص لتسمية الله تعالى اذ لا يسمى به
غير الله تعالى وعام في الفعل لانه تعالى يرحم به البر والفاجر واما الرحيم فعام
في التسمية اذ يسمى به غيره تعالى كما في قوله تعالى كما في قوله تعالى في حق حبيبه عليه السلام
وبالمؤمنين رؤف رحيم لانه يربيهم في الدين بالرفق كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه بالرفق والرحمة واعفوا عنهم

سيئاتهم

سيئاتهم كما امر الله تعالى بقوله فاعف عنهم واصفح انتهى وفي قوله تعالى
وبالمؤمنين رؤف رحيم في حق نبيه صلى الله عليه وسلم وفي قوله تعالى
لنفسه تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم لطيفة دقيقة شريفة و
هي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان مخلوقا كانت رأفته ورحمته مخلوقة
فصارت مخصوصة بالمؤمنين لضعف الخليقة وان الله تعالى لما كان
خالقا كان رحمته ورأفته قديمة فكانت عامة للناس لقوة الخالقية فمن
كان قابلا من الله للرأفة والرحمة المخصوصة للنبوة فكانت رحمته من نتايج
الرأفة والرحمة كقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة من الله وما
زائدة للتاكيد وقال الله تعالى في حق له واصحابه رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم فعلم من هذا المفهوم
انهم اذا لم يكونوا رحماء بينهم لم يكونوا اشداء على الكفار وخاص في
الفعل اذ به يرحم المؤمن دون الكافر روى ابو سعيد الخدري رضي الله
عنه ان عيسى عليه السلام قال الرحمن الدنيا والرحيم رحيم الاخرة
وقال ابن عباس رضي الله عنهما الرحمن البار على البر والفاجر والرحيم
مخصوص بالمؤمنين وقال السدي الرحمن العاطف على عباده بالرزق
من حيث لا يحتسبون والرحيم مخصوص بالمؤمنين بان يغفر لهم ما يذنبون
وقيل ان الرحمن من صفات جلال له والرحيم من صفات جمال له والفرق
بينهما ان الجلال متوسط بين الذات الالهي الذي من شانه القهر والعزة
التي اقتضت الوحدة ونفي شركة الوجود وبين صفة الجمال التي من شانها
اللطف والرحمة التي اقتضت الايجاد والابقاء فبنسبة احد طرفي الجلال
الى قهارية الذات فيه طرف من القهر وبنسبة احد طرفيه الى رحيمية
الجمال فيه رحمة فالرحمة تقوت بقوة القهارية فصارت اقوى من
رحيمية الجمال فاعطيت له المبالغة في الرحمة فصار فيه القهر مسبوقا ومغلوبا

كما في الحديث القدسي ان رحمتي سبقت على غضبي وفي رواية ان رحمتي غلبت
على غضبي وفي رواية ان رحمتي غلبت على غضبي فالقهر المسبوق بالرحمة و
الرحمة المتقوية بالقهر مخصوص للرحمن فثبت ان الرحمن من صفة الجلال
والرحيم من صفة الجمال ولهذا توسط الرحمن بين الله والرحيم في بسم الله
الرحمن الرحيم فاذا كان الرحمن متوسط بين القهر الصرف وبين اللطف
المحض فتارة يقتضي الافناء كما اخبر الله تعالى عن صفة افنائه به بقوله يوم
تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وتارة
يقتضي الاثبات كما اخبر الله تعالى به عن صفة ايجاده واثباته بقوله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فظهر
ان الرحمن اكثر مبالغة في الرحمة من الرحيم وفيه طرف من هيبة الالوهية
وهي مختصة به دون الرحيم ولا يخفى ان من له عقل سليم وطبع مستقيم ان
عنوان كل مكتوب مشير الى ما فيه فلو لم يكن رحمته وسعت كل شيء لما وقع
بسم الله الرحمن الرحيم مفتتحا وعنوانا لكتابه الكريم فان الله تعالى دال على
القدرة السرمدية والرحمن على الرحمة الازلية والرحيم على الرحمة الابدية
فعند انظمام هذه الثلثة بعضها على بعض اشارة الى ان غضبان المدبرين
بلا شيء نعم ما قيل اذا فاض بحر الرحمة بلا شيء كل ذلة ورحمة هنا يروى
ان فتى قرب وفاته واعتقل لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا
عند النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقام عليه السلام فدخل
عليه وعرض عليه الشهادة فلا يقدر ان يعمل لسانه فقال عليه السلام
اما كان يصلي ويزكي ويصوم قالوا بلى فقال عليه السلام هل عاق والدته
فقالوا نعم فقال عليه السلام هاتوا امه فاتي بعجوزة عوراء فقال
صلى الله عليه وسلم هلا عفوت عنه قالت لا اعفو لانه لطمني ففقأ عيني
فقال عليه السلام هاتوا بالحطب والنار قالت ما تصنع بالنار فقال

عليه السلام احرقه بالنار بين يديك جزاء بما عمل فقالت عفوت لاني
حملته تسعة اشهر ورضعته سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك
انطق الله لسانه وقال اشهد ان لا اله الا الله ففيها النكتة اللطيفة
العجيبة وهي انها بحسب اذ كانت امه فقد رحمته ولم يجوز الاحراق فالرحمن
الرحيم كيف يجوز احراق عبده داود على الرحمن الرحيم منذ مقدار سنة قدر
انتهى روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله تعالى مائة رحمة
انزل منها واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم وكل الاشياء بها
يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة الى الاخرة يرحم بها عباده يوم
القيمة ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكرمه ورحمته بلا غاية وبلا
نهاية ولا سيما اختتام البسملة بالرحيم دليل واضح على ان اختتام كل
اهل الايمان على الرحمة والغفران فالحمد على ما انعم علينا بالجود والاحسان بمحض
كرمه ولطفه على عباده ذي الجرم والعصيان والطغيان ثم اعلم ان لفاتحة
الكتاب اسماء منها لاهوتي ومنها جبروتي ومنها ملكوتي ومنها ناسوتي
فاللاهوتي فاتحة الكتاب سميت بها لان الله تعالى فتح ابواب خزائن الحقائق
التي ما فتح الله ابوابها على احد من العالمين الا على اشرف خلقه واتم خلقه
محمد صلى الله عليه وسلم او لان الله تعالى بها فتح لكل مناج مناجاته فكانت
فاتحة لكل خير او لان لله كتابين كتابا كبيرا جسما وكما وهو ما سواه مما سوى
الانسان الكامل وكتابا صغيرا جسما كبيرا شانا وهو الانسان الكامل وهذه
السورة الشريفة لتضمنها الحمد الذي هو اظهار كمال المحمود الباعث على الاثنا
الكتابين فاتحة لهما لان الام محل الايجاد والموجود فيها هو القران ومضمونه
من مراتب الربوبية من ان المستحق للربوبية لا شريك له في ذاته وصفاته
ومستاهل الحمد وهو المالك والمتصرف مطلقا واما الملكوتي فسبع المثاني
سميت به لانها سبع ايات بالاتفاق ولان هذه الايات السبع مثنى باعتبار

واما الجبروتي فام القرى سميت بها

ان نصفها ثناء العبد لله تعا ونصفها عطاء الله لعبده واما الناسوني
فسورة الحمد سميت به لان منها يفهم ان الحامد والمحمود هو الله تعا ولها
اسماء اخرى راجعة الى امهاتها الاربعة المذكورة كام الكتاب وسورة المنة
وسورة الوافية وسورة الكافية وسورة المجزية وسورة المنجية وسورة
الاساس وسورة الشفاء وسورة الرقية وسورة السؤال وسورة التعليم
وسورة السر وسورة الصلوة وسورة المكافات وسورة الواقية
وسورة مجمع الاسماء وسورة الكنز وسورة القرب وسورة المناجات
وسورة الخطاب وسورة الاجابة وسورة العناية وسورة الحضور
وسورة الكمال وسورة المنى وسورة التكميل وسورة التبجيل وسورة
التمجيد وسورة التحميد وسورة التقديس وسورة التشريف وسورة
الاغناء وسورة الاحياء وسورة الجمع وسورة العفو وسورة السرور
وسورة المفاوضة وسورة المعافات وسورة الوصل وسورة الجمال
فاما وجه تسميتها بها يعرف بالتامل والتدبر الحاصل بالرياضات الشاقة
وبارشاد الاستاد الكامل المكمل كما لا يخفى وقيل اسماؤها ترتقي الى تسعة
وتسعين وذهب الاكثرون من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين على انها مكية يستدلون عليه بقوله تعا في سورة الحجر
ولقد اتيناك سبعا من المثاني وقد فسره صلى الله عليه وسلم بفاتحة
الكتاب كما في الصحيح قيل في سبب نزول اية سورة الحجر ان عيرا قدمت من الشام
لابي جهل بمال عظيم وسبع فرق ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ينظرون
اليها واكثر الصحابة بهم عرى وجوع فخطر ببال النبي صلى الله عليه وسلم الحاجة
اصحابه فنزل قوله تعا ولقد اتيناك سبعا من المثاني اي بدل سبع قوافل لابي
جهل وسورة الحجر مكية بالاتفاق وعلى ان الصلوة فرضت بمكة لا اختلاف
فيه ولم يعلم انها كانت بغير قراءة الفاتحة ذكره ابن عطية وغيره واما كونها

عنو

غير جائزة بغير قراءة الفاتحة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واما
في وقت الفقهاء ليس كذلك لان الامام افتى بقوله تعا فاقرؤا ما تيسر
هنا وقد روى الواحدي والثعلبي من طريق علا ابن مسيب عن الفضل ابن
عمرو عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز
تحت العرش بل انها اول ما نزل وحجته ما اخرجه البيهقي في الدلائل والواحدي
من طريق يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن ابيه عن ابي ميسرة عمرو بن
شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني اذا خلوت
وحدي سمعت نداء خلفي فقد والله خشيت ان يكون امرا فقالت معاذ الله
ما كان الله ليفعل بك فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق
الحديث فلما دخل ابو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت اذهب مع محمد
الى ورقة بن نوفل فانطلقا وقصا عليه فقال عليه السلام اذا خلوت
وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فانطلق هاربا في الارض وقد بن
نوفل لا تفعل اذا اتاك نداء فاثبت حتى تسمع ما يقال ثم ائتني فاخبرني
فلما خلى ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ
ولا الضالين الحديث هذا مرسل رجاله ثقات واشتهر عن مجاهد عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان ابليس رن حين انزلت فاتحة الكتاب وانزلت
بالمدينة وذهب بعضهم الى انها نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة مبالغة
في تشريفها وفي قول نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة وقيل نزلت
فاتحة الكتاب في وقت فرضت الصلوة فيه فسبب نزولها فرضية الصلوة
وهذا ايضا دليل على انها مكية والمكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها
كما لا يخفى سواء نزلت بمكة او بالمدينة او في سفر من الاسفار فالحمد
لله الذي انعم على اهل الايمان بان ينجيه من عذاب النيران والصلوة
على من هو صاحب اللطف والاحسان وعلى اله واصحابه الذين ذوي الكرامة والايقان

الحمد لله

الحمد هنا شامل للثناء والشكر والمدح وللحمد مراتب حمد الحامد وحمد المحمود
وحمد الحمد وحمد المخلوق فحمد الحامد هو الذى حمد الله تعالى بذاته لذاته فى الذات
لان الحمد يصدر منه وصفة له وحمد المحمود هو وقوع الحمد من الذات للذات
فى ذاته تعالى فاذا وقع الحمد من ذاته لذاته فى ذاته يكون الحمد حمد المحمود لان الله
يكون محمودا بوقوعه عليه وحاصل الكلام ان فى اختصاص الحمد له تعالى
اعتبارين احدهما صدور الحمد منه تعالى والاخر وقوع الحمد له تعالى فباعتبار
صدوره منه تعالى يكون حمد الحامد وباعتبار وقوعه له تعالى يكون حمد
المحمود هذا واما حمد الحمد فلا يتحقق الا بين الحمدين لان الحمد نسبة و
النسبة تقتضى المنسوب والمنسوب اليه فبالنسبة الى قيامه به يكون
صفة له تعالى وبالنسبة الى صدوره منه تعالى يكون اثرا له تعالى كما قال
العارف بالله محى الملة والدين فحمد الحمد فيه ولولا الحمد ما كان الحميد اى
موجودا لكن وجود الحميد مقدم عليه كما قررنا فيكون لميا لانه انتقال
من الموصوف الى الصفة فحمده صفته وصفته عينه انتهى انتهى وهو
اشارة الى ان المحمود هو الذى له الكمال التام وهو لا يوجد فى غيره تعالى
لان معنى الالوهية استغناء الاله عما سواه واحتياج جميع ما سواه
اليه من جميع الوجوه فالاول مفيد للجلال والثانى مشير الى الجمال و
باجتماعهما يحصل الكمال التام كما قال الله تعالى تبارك اسم ربك ذى الجلال
والاكرام وفى الحمد حمد خفى الحمد وهو الحاصل لكل حرف من حروف الحمد ونجملها
وحروف الحمد خمسة الالف واللام والحاء والميم والدال فاما الحمد بالالف
فهو ان الالف موضوع بازاء ذات الله تعالى فكان تقدير معناه انا الله
غنى عن العالمين فكونه غنيا عن العالمين يوجب الحمد والاخبار عن الحمد يكون حمدا
واما الحمد باللام فهو ان اللام اشارة الى الاسم اللطيف فكان تقدير معناه

انا اللطيف

انا اللطيف على عبادى وهو فعيل بمعنى الفاعل فعلى هذا منه صدر اللطف
بعباده مرة بعد اخرى فكان اللطف مخصوصا له تعالى وخصوصه له تعالى
يوجب الحمد فيكون حمدا له تعالى واما الحمد بالحاء فهو ان الحاء عبارة عن الحى
الحفيظ الحليم الحكيم فتقدير معناه اخبار بان له صفات هى الحياة والحفظ
والحلم والحكم والحكمة وهذا الاخبار بجميع هذه الصفات يوجب الحمد
فيكون حمدا له تعالى بطريق الاولوية واما الحمد بالميم فهو ان الميم عبارة
عن الملك المصور المعز المذل المجيب وعن امثالها فاخبر الله بالاوصاف
المذكورة لنفسه والخبر عنها لنفسه تعالى يوجب الحمد فيكون حمدا له عز
شانه واما الحمد بالدال الدال على الدايم والديان فهو اخبار عن دوامه
وديموميته فيوجب الحمد فيكون حمدا له تعالى واما الحمد بجميع حروفه فهو
الحمد له تعالى فيكون حمدا مخصوصا له تعالى كما لا يخفى واما حمد المخلوق له
تعالى فهو اعتراف العبد ومعرفته واقراره بان الله تعالى موصوف بالحامدية
والمحمودية اذ لا يمكن للمخلوق ان يحمد الله بحقيقة الحمد لان المخلوق حادث
وما يصدر عن الحادث فهو حادث فلا يمكن قيام الحادث بالقديم لان
القديم لا يكون محلا للحوادث لان محل الحادث حادث وهو محال على الله
تعالى بل قيام الحوادث قائمة بتاثير قيوميته فكمال حمد العبد اقراره و
اعترافه وكل كمال موجود فى المخلوق فايض من انعامه فالحمد الصادر اللايق
بثناء الله تعالى هو الذى حمد به ذاته الاقدس ولسان البشر قاصر عن ادائه
كما قال عليه السلام سبحانك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اى لا موجود الا انت فهذا الخبر نفى وقوع
الثنا عن نفسه واثبات الكل له تعالى هذا ومن اغرب احكام الحمد هو حمد الحق الحمد
وحمد الحق الخالق وذلك كان باظهار عين الحمد حيث شاء من العوالم وجعله صفت
من اراده من اهل ذلك العالم فيظهر حكم الحمد فيمن قام الحمد به وصار الحمد صفة له

لانّ المعانى توجب احكامها لمن قامت به واما حمد الحمد الحق وحمد الحق نفسه
اوكون الحمد حمداً بقيام الحمد بالمحمود وبظهور حكمه فيه اذ علم المحدث لم يبلغ كنه
صفة من صفات الله تعالى كما قال الله تعا ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء
حتى يمكن ان يحمد او يثنى عليه بمعرفة كنه صفة من صفاته لانّ حمد المخلوق و
ثناؤه فرع معرفته فما حمد وما اثنى احد على الله تحقيقا الا تقليداً واما الشكر
وهو ثناء عليه تعا بمقابلة اعطاء النعمة على المخلوق فلا يقدر المخلوق ان
يشكر لله تعا حقيقة الا برؤية العجز عن ادابه لانّ العجز عن الادراك ادراك
كما حكى انّ داود عليه السلام قال الهى كيف اشكرك وانا لا اصل شكرك الا بنعمتك
فاوحى الله تعا اليه الآن شكرتنى وذلك لانّ توفيق الشكر نعمة موجبة للشكر
فلا نهاية لنعمه فكيف يدرك الشاكر الحادث نعمته التى لا تقبل التناهى كما قال
الله تعا وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا اما حمده على ذاته الجليل والجميل
فى مقام الاجمال فهو على ثلثة اقسام قولى وفعلى وحالى فاما القولى فهو الذى
حمد الله تعا به ذاته فى الكتب السماوى باكمل الصفات واما الفعلى فهو اظهار
الكمالات الجلالية والجمالية المخزونة فى الغيب الباطن واظهار العلم فى عالم الشهادة
والظاهر واظهار العين فى محل الولايات واما الحالى فهو تجلى الذات بالذات
بفيضه الاقدس الاولى وظهور نوره الازلى بمقتضى تجلياته واما حمده تعالى
فى مقام التفصيل وانّ المظاهر عبارة عنه فهو على ثلثة اقسام قولى وفعلى وحالى
اما القولى فهو حمد لسان الانسان بان يحمده بصفة فعل وبصفة تنزيه كما ورد
فى كل شريعة الملة على السنة الانبياء عليهم السلام واما الفعلى فهو اتيان
العبد بالاعمال الصالحات والطاعات والعبادات البدنية بحيث يصرف العبد
جميع ما انعم الله عليه الى ما خلق له واما الحالى فهو اشتغال الروح فى القلب بالاتصاف
الكمالات العلمية واكتساب الاخلاق الالهية كما قال النبى صلى الله عليه وسلم
تخلقوا باخلاق الله هذا فى مقام الصحو واما فى مقام الجمع فالحامد والمحمود والشاكر

والمشكور والذاكر والمذكور هو الله تعالى الشيخ نظم لقد كنت دهراً قبل ان يكشف
الغطاء اخالك انى ذاكرك شاكر فلما اضاء الليل اصبحت شاهداً
بانك مذكور وذكر وذاكر

رب العالمين

اى موجدهم ومبقيهم ومفنيهم ومعيدهم ومبديهم ومجزيهم قال العارف
بالله محى الملة والدين فى الفتوحات الرب ما لكنا والرب مصلحنا والرب
مثبتنا لانه الثابت فى ذاته لولا وجودى وكون الحق اوجدنى ما كنت
ادرى بانى الكائن الفائت فالحق اوجدنى منه وايدنى به لذلك
ادعى الناطق الصامت وللربوبية خمسة احكام الثبوة على التكوين والسلطان
على اهل النزاع والنظر فى مصالح الممكنات والعبوده التى لا تقبل العتق و
ارتباط الحيوة بالاسباب المعتادة واما الثبوة على التكوين كونه تعا على حال
كل يوم هو فى شأن كقوله تعا يقلب الله الليل والنهار وقوله يحيى الارض بعد
موتها وقوله تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى واما السلطان
على اهل النزاع وهو انّ المقالات اختلفت فى حق الله تعا اختلافاً كثيراً
من قوة واحدة وهى الفكر فى اشخاص كثير من مختلف الامزجة الحاصلة من
الامشاج المختلفة فيحكم الرب بين اصحاب هذه المقالات بما يقتضيه الشرع
المنزل فيق العقول واحقية فى ادلته ويرجع اختلاف صاحب المقالات الى
المواد الشرعية بعد ما كانت ناظرة اولاً بالنظر العقلى فكون الربوبية بمعنى
الخالقية والمالكية والسيادة عام فيكون مجازاً مرسلاً من قبيل ذكر الاسم
وارادة المسمى واما كون الربوبية بمعنى التربية فخاص فيكون حقيقة
لاستعمالها فى المعنى الموضوع لذا التربية متفاوتة بحسب الموجودات
فتربية الاشباح بموائد النعم وتربية قلوب المشتاقين بآداب الطريقة و
تربية نفوس العابدين باحكام الشريعة وتربية الباطن بالرحمة الوافية

وتربية الظاهر بالنعمة المتنوعة وتربية الارواح بزوايد الكرم وتربية المؤمن بنعيم ولكم فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين في العقبى وتربية الكافر بمتع الدنيا وتربية العشاق بتشرف جمال المولى واما النظر في الممكنات فهو ان الممكنات من حيث هي هي لا يتعين لقبولها طرف من الاطراف التي يكون الممكنات به اولى الا بصنع الرب فينظر الرب بالاولية في وجودها وعدمها واختصاصها بوجه واما العبودة التي لا تقبل العتق فهي العبودة لله لان العبودة على ثلثة اقسام عبودة لله وعبودة للخلق وعبودة للحال واما العبودة لله فهي العبودة من حيث الامر والنهي واما العبودة للحال فهي عبودة العبودة لان الحال عبودة في نفسها حاصلة من عناية الله تعالى بسبب الرياضات الشاقة وارشاد الاستاد الكامل المكمل فكانت عبودة العبودة واما العبودة للخلق فهي على قسمين عبودة في حرية وعبودة في الملك اما العبودة في حرية فهي العبودة للاسباب لانهم وان كانوا احرارا لكنهم عبيد الاسباب واما العبودة في الملك فهي العبودة المعروفة التي كانت في العموم التي يدخلها البيع والشراء فيدخلها العتق فيخرجه اي الملك عن ملك المخلوق فبقيت الحيرة في ملك الاسباب هل يخرج من استرقاق الاسباب ام لا فمن يرى ان الاسباب حاكمة عليه وانه لابد وقال لا يصح العتق من رق الاسباب فالمحال عنه الخروج وعتقه معرفته فاذا عرف فخرج عن رق الاسباب والا فلا واما في العبودة لله وفي العبودة للحال وهي عبودة العبودة فلا يصح العتق فيهما واما ارتباط الحيوة بالاسباب المعتادة فهو اظهار ما يكون فيما يقع به الغذاء الكلي متغذ من الغذاء المحسوس والمعنوي فالغذاء المحسوس معلوم واما الغذاء المعنوي فهو ما يتغذى به العقل والقلب والروح والسر فغذاء العقل حياته بالقلم الرباني واستكماله بالفيض الصمداني وغذاء القلب تقوية الروح فيه وغذاء الروح تحصيل اسبابها

يستكمل

يستكمل وكان مترقيا عن مقامات الروحانية الى درجات قربات الربانية وكان معرضا عما سوى الله ولا يكون متأسفا على شيء من المخلوق الا على القلب وذلك لان القلب مرآة جمال الحق لانه لا يشاهد الا فيه لان فيه مرآت وهو الفؤاد كما في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولذلك فيه السر بان يكون طلب الحق في القلب لا في القالب لان قلب المؤمن عرش الله العظيم ويكون وجدانه في القلب كما قال موسى عليه السلام الهي اين اجدك فقال الله تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي اي لاجل محبتي فيه ايهام كانه تعالى قال في محبة لاجلي فاطلبني فيك اي في قلبك اذ القلب عرش الرب تبارك وتعالى دون ما سواه كما قال الله عز شانه لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن وغذاء السر اجتماعه مع الروح واجتماع الروح مع الفوايد واجتماع الفوايد مع القلب حتى يحصل السلطنة بسبب ذلك الاجتماع للروح فيقهر الاعداء هذا فمعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوحدة على سبيل الاستقلال فصار الكمال من نعوت الهية وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في تفرد الانسان بالوجود فهو محال لانه يقتضي المشاركة في الوجود وهو نقص على الله عز شانه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فجميع ما سواه اثر من آثار قدرته وحصول الآثار على قدر استعدادهم بالقدرة الالهية كمال له تعالى اذ لا شيء يضاهيه او يساويه كقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع العليم كما ان اشراق نور الشمس في اقطار الآفاق ليس نقصانا لها بل هو من جملة كمالها ولو كان شمس اخرى يضاهيها او يساويها لكان نقصا لها فوجود جميع العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا فالرب يكون متفردا في الوجود فلنا الكمال هو ولاسم الرب اختصاص لاجابة الدعاء حتى قيل انه اسم اعظم واستدل عليه بان الانبياء عليهم السلام والاولياء عليهم الرحمة والغفران اجمعوا على الدعاء به لجلب المنافع مثل ربنا آتنا في الدنيا حسنة ورب اغفر وارحم ودفع المضار مثل ربنا لا تزغ قلوبنا وفيه نظر اذ فيه ظهور معنى الاستحقاق

فيكون متأسفا على مشاهدة جمال الحق

وان كان له اختصاصاً بالاجابة لان الاسم الاعظم هو الذى لا يكون فيه ظهور
معنى الاشتقاق وانه دال على الذات مطلقاً بلا اعتبار معنى الوصفية وانه
مستجمع بجميع الصفات كما قررنا قبل وهذا المعنى مختصة بلفظة الله عز شانه وما
عداه من الاسماء الالهية ليس بمثابته هذا والعالم ما يعلم به الصانع اعلم ان العوالم
الجزئية التفصيلية وان كانت غير متناهية ولكن العوالم الكلية المحيطة بجميع
العوالم الروحانية والجسمانية والعلويات والسفليات والعقليات والنفسيات
والفلكيات والعنصريات والنباتات والحيوانات والانسانية منحصرة
فى خمس عوالم عالم اللاهوت وعالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك
وعالم الناسوت واما عالم اللاهوت فهو عالم الذات البحت والوجود المطلق
وهوية الغيب والغيب المجهول والاحدية ولا التعين وعالم الجبروت وهو عالم
الصفات والواحدية واول التعين ومحيط الاعيان الثابتة وعالم الملكوت
وهو عالم الافعال والارواح والربوبية والغيب والامر والباطن والنفوس
والعقول وعالم الملك وهو عالم الآثار والاجسام والربوبية والشهادة والخلق
والظاهر والكثف والاجرام والمحسوسات وعالم الناسوت وهو عالم الانسان
الكامل والمظهر وحقيقة الانسان هو عينها الثابتة التى هى عبارة عن نسبة
معلومية وتميزه فى حضرة الالهية بحسب مرتبته وعلم ربه وسر كون الانسان دليلاً
دالاً عليه سبحانه وتعالى انه نسخة جامعة من كل شىء ففى قوته ومرتبته ان يدل
على كل شىء بما فيه من العلامات الدالة على ذلك الشىء فقد يعنى فى الدالة
عن كل شىء على كل شىء حتى ان من عباده من يكون الحق مبداء فتحه فيعرف الحق
بالحق فاذا تحقق بمعرفته وشهوده سوى حكم تلك المعرفة وذلك الشهود
فى مراتب وجوده فيعلم كل شىء بالحق حتى نفسه التى هى اقرب الاشياء اليه نسبة
فانه لا خلاف فى تفاوت التجليات عند المحققين فانما التفاوت فى المراتب
والاطلاع عليها بحسب العلم قال العارف بالله محى الملة والدين ان المقو

عليه

عليه سوى الحق او مسمى العالم هو بالنسبة الى الحق كالظل للشخص فمراده ان ما
يطلق عليه اسم الغير يقال له ما سوى الله فهو بالنسبة الى الحق بمنزلة ظل
الشىء فلا وجود لهذا الشىء استقلالاً بل وجوده بسبب المظل فكذا ان العالم
بمعنى ما سوى الله لان وجوده ظهر من ايجاد الله فثبت ان مسمى العالم بالنسبة
الى الحق كالظل للشخص هذا واضافة الرب الى العالم بيان لعموم سلطنته ربوبيته
وشمول حكم الوهية واثبات نفوذ امره فى العالم وقدرته فى المقدورات على ما يشاء
والله يقول الحق وهو يهدى السبيل فان من ذلك المذكور يستفيد المنعم
عليه معرفة بالمنعم فيكمل حضوره فى الحمد فلا جرم ان ذكرهما بعد الاسمين
المذكورين اشارة الى ان الانعام والاحسان من توابع هذه من الاسمين لانه
لولا الرحمة وسبقها لم يوجد الكون ولا ظهر عين لاسم المنعم والمحسن ولهذا قال
الرحمن الرحيم تاسيس باعتبار ارشاده للمكلف ثم استيناسا برحمته شانه
عليه تعالى بالجلال وللجمال للمحبة والرضوان ليعلم هذا المكلف ان التكليف شرعى
وان كان شاقاً بحسب الظاهر لكنه لطف محض ورحمة لكونه سببا لتطهير الارواح
عن شوائب العلائق البدنية وتحصيل الكمالات التى لا يكاد لحصاوها كما
قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وفى تكرار ذكرهما اشارة الى
الحامد المؤمن ممن اتصف بهما مرحوم لان معصية اهل العصيان متناهية
والمتناهى يضمحل فى جنب غير المتناهى فكن حامداً لله تعالى ومصليا على رسوله عليه
السلام وعلى اله واصحابه اجمعين وسلم تسليما وعلى جميع الانبياء والمرسلين
وعلى الهم واصحابهم اجمعين وعلى من تبعهم باحسان الى يوم الدين والحمد لله رب
العالمين فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اذا امتحن الدنيا
لبيب تكشف له عن عدو فى ثياب صديق فسبحان من تفرد بتربية عباده بالكشف
بغير الوسائط وحجب من حجب بالوسائط بيده كل الخير واليه ترجع الامور ولا يبعد
ان يقال ان المراد بالرحمن الرحيم فى البسملة هو المتجلى بصور الاعيان الثابتة

بفيضه الاقدس اذ هو باعتبار هذا الفيض واطلاقه هو الرحمن وباعتبار
تخصيصه وتخصيصه هو الرحيم والمراد فيما بعدهما هو المتجلي بصور الاعيان
الوجودية باعتبارين المذكورين فعلى هذا لا يكون التكرار في ذكر الرحمن مالك
يوم الدين قال ابن عباس رضي الله عنهما قاضي يوم الحساب والجزاء واما
المالك في الحقيقة فهو الذي له كمال العلم والقدرة بحيث تكون قدرته نافذة
في المقدورات والمملوكات من الممكنات باي وجه اراده من الايجاد والاعدام
والانعام والامساك والابقاء والافناء والاعطاء والمنع والهداية والضلالة
والاعزاز والاذلال والابداء والاعادة والاحياء والاماتة ولذا قيل
المالك الحقيقي هو الذي لا يزال ملكه ولا يقدر مملوكه ان ينازعه وجها من الوجوه
ابدا فاذا تفكر اللبيب هذا المعنى ونظر بعين البصيرة في الافاق والانفس يفتح له
ابواب العرفان ويصير قلبه وروحه معمورا بمشاهدة الرحمن ويجري من لسانه
ينابيع الحكمة والبيان ويصير روحه في بدنه بمنزلة المالك المتصرف
كالسلطان وانما يحصل له هذه المنزلة والشان بعد منازعة الهوى مع
الروح عليه بعون الله الملك المنان وذلك لانه لما نازع الهوى على الروح
باستعانة النفس فعزم الروح على قتله وبرز بجنود التوحيد والملاء الاعلى
وكذلك الهوى برز بجنود الاماني والغرور والملاء الاسفل فقال الروح له
مني اليك ان ظفرتني وهزمتني فالملك لك وان ظفرت بك فالقوم والملك
والحكم لي فلا يهلك القوم بيننا فبرز الروح مع الهوى وحاربه ثم قتله بسيف
الصدق وبعده حارب بالنفس وظفرها بعد الجد والجهد التام فانقادت
تحت سيفه منذلة متواضعة واسلمت وكانت متطهرة وجميع الحواس امنوا
على انها كانت مؤمنة ودخلوا كلهم في انقياد الشريعة الغراء وسلبت عنهم
الدعاوى الفاسدة واتحدت كلماتهم بان ما سوى الله مقدور تحت قدرته ازلا
وابدا وعنهم سقطت الاضافة بان قالت هذا لي وهذا مني وهذا بي كما قيل التوحيد

اسقاط

اسقاط الاضافات بحيث لا يطلبون الا من الله ولا يستغيثون الا من الله ولا
يحبون الا الله ولا يتكلمون الا بالله كما في الحديث القدسي لا يزال العبد يتقرب
الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبي يسمع
وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وما ذكرناه من المنازعة المذكورة تسمى بالجهاد
الاكبر كما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رجع من مقاتلة الكفار فقال
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فاذا وصل العبد الى هذه المقامات
بسبب اتصافه هذه الصفات مالكه ومعبوده وصار فانيا في الله وباقيا بالله
بسبب عبوره عن حجبات النفس لان الحجاب بين العابد والمعبود والحامد
والمحمود والخالق والمخلوق انما هي النفس فاذا عبر السالك عن هذه الحجاب ومات
بالموت الاختياري المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم موتوا قبل ان تموتوا
وعلم ان المنعم بانواع النعم الجلائل المتعلقة بالدنيا والعقبى والصورة و
المعنى هو الله تعالى وكانت قوته المتحركة متناهية وفانية في هذا المقام و
يتصل دائرة الثناء من نقطة مبداء الربوبية الى منتهى نقطة المالكية وتقرب
الى الله بقربه ظهر له حكم قوله تعالى في حديثه القدسي من تقرب الي شبرا
اتقرب اليه ذراعا وحصل له مرتبة الاحسان المشار اليه بقوله صلى الله
عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وان لم تكن تراه فانه يراك
فصار له البيان كالعيان فكان العبد عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهو
كل على مولاه فيرحمه مالكه ويذكره بفيضه وكرمه وفضله وعده بقوله
فاذكروني اذكركم ويخاطب لنفسه بقوله يا ايتها النفس المطمئنة ثم يجذبه
عن غيبة نفسه الى شهود مالكه بجذبة خطابة ارجعي الى ربك فيشاهد
جمال مالكه ويخاطبه مالكه بخطابة عبد خاشع خاضع ذليل عاجز بان يقول
اياك نعبد واياك نستعين والاصل في المعنى العبادة الانقياد بالخشوع
والخضوع والطاعة والذلة ولذا يسمى العبد عبدا هذا فاذا قال العارف

اياك وحدا لحق بحروف الخطاب متوجها عليه تعالى امتثالاً كما اشرنا اليه في معرض
التعليم وفي تقديم اياك على نعبد ونستعين الذي يفيد الحصر اشارة الى ان
العابد والمستعين يجب عليه ان ينظر اولاً الى معبوده ومستعانه ثم الى نفسه
وعبادته من حيث انهما كانتا سببا لوصل العبد الى الحق لا من حيث انهما صادرة
عنه لان وصول العبد العارف انما يحصل اذا استغرق في ملاحظة جناب
القدس وغاب عما سواه حتى انه لا يقدر على ملاحظة نفسه ولا حالاً من احوالها
وهذا الطريق هو الطريق المحمدي صلى الله عليه وسلم وهذا السير سير لله على
ما يقتضيه الاطوار السبعة اولها سير الى الله كقوله تعالى الا الى الله تصير
الامور وثانيها سير على الله كقوله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله وثالثها
سير مع الله كقوله تعالى لا تحزن ان الله معنا ورابعها سير لله كقوله تعالى
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حكاية عن ابراهيم عليه السلام
وخامسها سير في الله كقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وسا
دسها سير عن الله كقوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه
الاعلى وقوله جزاؤهم عند ربهم جنات عدن وسابعها سير بالله كقوله تعالى
قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ومراتب النفس ايضا سبعة
امارة كقوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء ولوامة كقوله تعالى بالنفس
اللوامة وملهمة كقوله تعالى فالهمها فجورها وتقويها ومطمئنة كقوله
تعالى يا ايتها النفس المطمئنة وراضية كقوله تعالى راضية ومرضية كقوله
تعالى مرضية وصفية كقوله تعالى فادخلي في عبادي وادخلي جنتي فالامر
بلا قيد والفاء للتراخي كما لا يخفى ولذا سميت صفية وانها نهاية المقامات
وكل واحدة منها متعلقة بالسير من السير السبعة فالامارة بالسير
الى الله واللوامة بالسير على الله والملهمة بالسير مع الله والمطمئنة با
السير لله والراضية بالسير في الله والمرضية بالسير عن الله والصفية

بالسير

بالسير بالله وابتداء سير الامة من السير الى الله الى السير بالله واما سير
الانبياء عليهم السلام فمن السير لله الى السير بالله فالثلثة الاول منها
للامة والبواقي من الثلثة للانبياء عليهم السلام لان النبوة لم تبعث قبل
الاطمئنان لان الانبياء معصومون والعصمة بعد ظهور الاطمئنان
فثبت ان سير الانبياء من المطمئنة الى الصفية انتهى ولا سيما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتم الانبياء عليهم السلام واتمهم واصلهم كقوله
عليه السلام انا ابو الارواح اي الارواح كانوا متعينا من نوري هذا واما
من كان نظره الى نفسه اولا ثم الى معبوده ومستعانه فكان طريقه طريق
الموسوي لانه قال ارني انظر اليك فانخوطب بلن تراني لما فيه من شائبة
الانانية الحقانية فشتان بين المرسلين واما رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك عز جارك
وجل ثناؤك ولا اله غيرك فاعترف بالعجز فبهذا العجز كان كمالا له صلى الله
عليه وسلم فالعابد المخلص اذا افتتح بذكر الله بالصفات التي ذكرت من
اول سورة الى هنا يصير مستغرقا بمشاهدة نور جماله فلما قام بالعبادة
فعرف لذة الهداية والتوفيق بالمعبود وعلم ان العبادة انما تعرف بالمعبود
ولا يعرف المعبود بالعبادة اذ العارف يستدل بالسبب الى المعنى لا بالمعنى
الى السبب فلا مرية في كون نظره الى معبوده اولا ثم الى نفسه وعبادته
الحاصلة بتوفيق الله تعالى فكن من الشاكرين على الانعام عليك باتباع افضل
الطرق وبكونك من خير امة نبهني الله واياك من نوم الغفلة ونعبد مشتق
من العبادة او من العبودة واصل العبودة العبودية والماضي من الاول
بفتح العين ومن الثاني بضمها والمضارع منهما بضم العين فصاحب العبادة عابد
وجمعه عباد وصاحب العبودة عبد وجمعه عباد وقيل العبادة عمل الفعل فيه
رضاء الله والعبودة محبة الفعل فيه رضاء الله واصول العبادة ستة الصلوة

بلا غفلة والصوم بلا غيبة والزكوة بلا منة والحج بلا ارادة والذكر بلا
ملالة ومحافظة الامر والنهى بلا سمعة واركان العبودة ايضا ستة الرضاء
بلا خصومة والصبر بلا شكاية واليقين بلا شبهة والشهود بلا غيبة و
التوجه بلا فترة والاتصال بلا قطيعة فمن اتصف بهما لا بد له ان يختار
من العبادات الصوم الذى هو صوم عن لذات الدنيا جميعا ومن المعاملات
الرهن الذى يكون قلبه رهينا عند ربه ومن المناكحات الطلاق الذى
يطلق الدنيا ثلاثا ومن الجراحات التى تهلك فيجب به القصاص فكون
نفسه هالكا فى سبيل ربه فيلزم الحيوة لصاحب هذه النفس كما فى قوله
تعا ولكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب واعلم ان كل فعل يصدر من
الانسان من الافعال البر يقصد به امرا غير الحق كائنا ما كان فهو بعد
من الاجراء لا من العبيد ومتى يصدر منه الفعل المسمى برا ولا يقصد به
امرا بعينه بل يفعله لكونه برا فقط او يفعله من حيث انه مامور مطلقا بفعله
من حيث المامورية والحضور فيه مع الامر فحينئذ يكون هذا الفاعل الرجل
فان ادنى من حيث ان لا يقصد بما عمله غير الحق كان تاما فى الرجولية فان
ادنى من حيث انه لا يفعل شيئا الا بالحق كما يصدق عليه الحديث القدسى
وهو فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش كان اتم فى الرجولية فان ادنى من هذا
المقام بان جعل حضوره مع الحق ويشهده بعين الحق بان لا يرى حضوره
وشهوده من نفسه بل بان اضافهما الى الحق فهو صار العبد المخلص فان ظهر
عليه احكام هذا المقام والمقام الذى قبله من مقام فبى يسمع وبى يبصر مع
سريان حكم شهوده الاحدى دون غفلة ولا حجاب فهو صار الكامل فى
العبودية والرجولية والمعرفة والخلافة والاحاطة والاطلاق وفقنى
الله واياكم آمين والاستعانة طلب العون لحصول الامال مطلقا واما
عند العارفين طلب المعاينة اذ العابد يطلب ان تكون عبادته عن قلب

حاضر

حاضر اذ لا صلوة له الا بحضور القلب بسبب حصول التجلى له وينظر الى جمال
معبوده لا يكون مناجاته وخطابه مع الله تعا فكان صلوته حقيقة
ومقبولة عند الله تعا والى هذا اشار النبى صلى الله تعا عليه وسلم بقوله
حبب الى من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عينى الصلوة واما اذا كان
قلبه فى هذا الخطاب مشغولا بغيره تعا فيكون ذلك الغير مثابة معبوده
نعوذ بالله ان نكون كذلك والى ذلك اشار عز شانه بقوله افرأيت من
اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد فى الارض فكون
صلوته مردودة ولذا قدم نعبد على نستعين فمن اقر باياك نعبد فقد
برئ من الجبرية لانهم اسندوا الفعل الى انفسهم ومن اقر باياك نستعين
فقد برئ من القدرية فانهم يقولون ان العبد خالق لافعاله من الخير و
الشر فمذهب كليهما باطل لان النبى صلى الله عليه وسلم قال القدرية
مجوس هذه الامة واما التكرار فى اياك فلنفى الاشتراك فى الاستعانة
بغيره تعا فالله خصص الاستعانة بان يقول لا استعين بغيرك
وهذا اتباع لابراهيم الخليل صلوات الله على نبينا وعليه فانه لا يقبل
الاستعانة حين وضعه نمرود فى المنجنيق والقاه فى النار فجاء جبرئيل
وقال له هل لك من حاجة قال اما اليك فلا فقال له جبرئيل عليه السلام
فاسئل حاجتك من الله تعا فقال حسبى علمه بحالى وهو غنى من سؤالى
فالعابد العارف يقول بلسان الحال الهى خليلك لما صار مشرفا على نار
نمرود فما رضى بالاستعانة بغيرك فخلصته من ناره فانا عبدك الذليل
مشرف على نار جهنم فلا استعين بغيرك اتباعا لخليلك وحبيبك فخلصنى
برحمتك منها فيصير مستحقا لرحمته تعا حتى تقول جهنم جز يا مؤمن فقد
اطفأ نورك لهبى هذا مرتبة لسان العبد واما لسان الربوبية فى هذا
المقام فهو انه تعا انزل هذه السورة على عباده وامرهم بعبادته على هذا

الوجه لانه تعالى علم ان قلوب عباده وان كانت مفطورة على معرفة ذاته
ولعبادته والالتجاء اليه لكن الشواغل والغفلات التى من خصائص هذه
النشأة تذهل من الانسان فى بعض الاوقات ما يجب تذكره واستحضاره
فاحتاج الى التذكر والتعيين ما هو الاولى له من الدوام عليه اذ ما لا يتعين
لا يتم ولا يؤثر فامر الله تعالى ان يقول بعد تقديم الثناء عليه تعالى اياك
نعبد واياك نستعين تذكرا لعباده ان الذى يجده من العلم والقوة
لا يحسبونها انهم فيه مستقل ولهم اختصاص فى شى من الكمالات بل كله
منى ولى كما قال النبى صلى الله عليه وسلم انما نحن به وله فالمرتبة الربانية
تعرف للعبد عدم الاستقلال فى الطرفين فهذا التذكر كان من غاية فضله
واحسانه وقيل لا يبعد ان تجعل العبادة اشارة الى الفناء فى الله لان غاية
الخضوع الرجوع الى العدم الاصلى والاستعانة اشارة الى طلب البقاء بعد الفناء
ليكون السير سيرا من السير فى الله الى السير عن الله وحينئذ كان وجه
تقديم نعبد على نستعين ظاهرا وفى اتيان نعبد بلفظ الجمع اشارة الى ان
العابد يجب ان يكون بشراشر وجوده الظاهر والباطن على عبادة الله تعالى
بحيث يصرف جميع ما انعم الله عليه الى ما خلق له لان حكم الصلوة قد عم حالا
ظاهرا وباطنا بحيث لم ينفرد منها جزء من اجزائه نعبد بنون الجمع ليعلم انه تعالى
يريد من عبده ان يعبده بكليته ومتى لم يكن العبد بهذه المثابة كان كاذبا
فى قوله نعبد ونستعين لانه لم يكن بجميع الحواس والقلب والفؤاد والروح
والسر كما ذكره ابو حامد الغزالى قدس سره العالى فى قوله صلى الله عليه وسلم
صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة وقال صاحب الكلمة
الفارضية المعرفة بملاء القلب مهابة والعين عبرة وعبرة والصدر خشوعا
وحرمة والجوارح استكانة وخدمة وطاعة واللسان ذكرا وحمدا والسمع اصغاء
ونفرتها والخواطر خمودا فى مراقبة المناجاة والوسواس اضمحلالا انتهى وقيل يحتمل

ان يكون

ان يكون لفظ الجمع فى نعبد ونستعين اشارة الى وصول العبد الى مقام
الجمع فحينئذ يرى العبد جميع العبادات والاستعانات والافعال كلها
صادرة عن الله تعالى انتهى اعلم ان الجمع عبارة عن زوال الحدوث بنور القدم
وهلاك كل ما ظهر وجوده من العدم اى من الوجود العلمى الى الوجود العينى
ولا نعنى بهذا القول ان الموجودات تنعدم مطلقا حتى يبقى الواحد القهار
بلا ملك لاستيلاء الهلاك عليه لان ذلك من متوهمات ارباب
الحجاب بل المراد به ان الحق سبحانه وتعالى كان الان كما كان كقوله عليه السلام
كان الله ولم يكن معه شئ فكذلك يشاهد السالك الواصل الى مقام
ان الحق هو الموجود فقط وليس هنا سالك ولا مسلوك اليه ولا سلوك
بل كل بل كل العالم وما فيها المسمى بالغير مستهلك فى تجلى عن ذات الهوية
فى مراتبها المختلفة بصور مختلفة كما قال الناظم لقد كنت دهرا قبل ان
يكشف الغطا اخالك انى ذاكر لك شاكر فلما اضاء الليل اصبحت شاهدا
بانك مذكور وذكر وذاكر فحينئذ لا يكون فى نظره شئ غير الحق مع ان
وجود العبدانية وان كان متحققا فى نفس الامر ولكن هذا الناظر لا يشاهد
الا الوجود المطلق لكونه مغلوبا بانوار تجليات الحق فلا يبقى عنده عبد مع
الرب الا الرب وحده فحينئذ ان انجذب بانوار الالهية القاهرة للعقول
والاوهام يلحق بالمهيمين فى جمال الله سبحانه وتعالى دائما فى تلك المدة
لا يعرف التكاليف الشرعى من الصوم والصلوة وغيرهما فيكون صومه
الامساك عن غير الله تعالى وصلوته استغراقه فى بحار عظمته تعالى وان لم
ينجذب بان يكون باقيا على حاله مميزا كل الاشياء بمرتبة ومظهرا بلطف
الالهى وحفظه عن وقوع الزندقة والاباحة وظهوره لحكم الطبيعة
المحضة التى تخرجه عن التكاليف الشرعية مع رؤيته الكل حقا ان يتمكن
فى هذا المقام فيدخل الى مقام الفرق بعد الجمع فيشاهد الحق والخلق معا

من غير ان يحتجب باحدهما عن الاخر لشهوده الوحدة في عين الكثرة والكثرة
في عين الوحدة ويسمى هذا الفرق صحوا بعد المحو في اهل الله المكملين وهذا
المقام مقام المكملين ويستوى عنده الخلوة والجلوة والانزواء عن الخلق
والخلطة معهم لعدم احتجابه بالخلق عن الحق ولا بالحق عن الخلق فحينئذ يلازم
ويواظب مقام العبودية ولا يضيف شيئا الى نفسه من الكمالات الا العجز
والانكسار والاحتياج فصار هذا المقام اعلى من مقام الجمع هذا اهدنا
الصراط المستقيم اى المنهاج الواضح الذى لا اعوجاج فيه واهدنا مشتق
من الهداية او الهدى ولا فرق بينهما عند اكثر المفسرين وقال بعضهم ان الهدى
بمعنى اراءة الطريق في الدين والاهتداء فيه والهداية بمعنى اراءة الطريق
مطلقا في الدين وغيره وهدى يجئ لازما ومتعديا ويختص بالدين واما
الهداية لا تجئ الا متعديا وليست بمختصة به ووصف الصراط بالاستقامة
لانه يؤدى الى رضاء الله تعا والخلود في النعيم المقيم روى عن على بن ابى
طالب كرم الله وجهه وابن مسعود رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال الصراط المستقيم كتاب الله تعا واخرج الحاكم وصححه من
طريق ابى العالية عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعا الصراط المستقيم
انه قال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه وروى عن على
ابن ابى طالب كرم الله وجهه وابى ابن كعب رضى الله عنهما انهما قالا
اهدنا اى ثبتنا على الهداية وهبها منا اى من اجلنا كما في قوله تعا ربنا
لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب
او طلب المراتب المرتبة عليه ولها مراتب فان الله تعا هدى جميع الحيوانات
لجلب المنافع ودفع المضار كما في قوله تعا ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه
ثم هدى فهذه الهداية للعامة فلا تختص باحد واما هداية الخاص فهى
هداية المؤمنين الى الجنة كقوله تعا يهديهم ربهم بايمانهم واما هداية

الاخص

الاخص فهى الهداية التى من الله الى الله بالله كقوله تعا في معرض الامتنان
على رسوله صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى اى حائرا في تيه وجودك
فطلبك بجوده وجذبك بفضله وهداك بجذبات عنايته ونور هدايته
وجعلك نورا فيك اهدى الى من اشاء من عبادى فمن اتبعك وطلب رضائى
اخرجهم من ظلمات الوجود البشرى الى الوجود النور الرحمانى وتهديهم الى صراط
مستقيم كما قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله
قال النبى صلى الله عليه وسلم عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى
فطريق الهدى هنا هو معرفة ما خلقه من اجله حتى يكون عبادته على ذلك
فيكون على بينة من ربه وقيل اهدنا اى ارنا السبيل اليك ووفقنا السير
في سلوك طريقك ثم اجذبنا بجذباتك واشار النبى صلى الله عليه وسلم الى الاول
بقوله ارنا الاشياء كما هى والى الثانى سيروا سبق المفردون والى الثالث جذبة
من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين وقيل اهدنا بفناء اوصافنا الى طريق
اوصافك التى لم تزل ولا تزال والوجه في اهدنا بلفظ الجمع ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله
ومن فينا بتلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه
وهو ما عصى بلسانك ولو قال اهدنى لم تتعين الاستجابة بخلاف اهدنا
فكان العابد العارف يشترك بجميع المؤمنين في دعائه ترغيبا في استجابة الدعاء
وتحصيلا للنفع العام وهو الغبطة وهذه الخصلة رأس مال جميع مكارم الاخلاق
فحينئذ تثبت شفاعة كل واحد من افراد المؤمنين لجميع المؤمنين ولا شك ان شفاعة
النبى صلى الله عليه وسلم حق لجميع اهل العصيان لانه عليه السلام قال شفاعتى
لاهل الكبائر من امتى الحديث فاذا قال العارف اهدنا فكان سائلا بان يهدى
الله تعالى باسمه الهادى الى الصراط المستقيم الذى هو صراط التوحيد من توحيد
الافعال والصفات والذات ولهذا قيل ان الصراط المستقيم هو خلق النبى

صلى الله عليه وسلم فمن تبعه فهو المهدى الى الصراط المستقيم مع النبيين
والشهداء والصالحين والا فلا والتلبس بهذه الحالة وان كانت اصعب
من خرط القتادة لكنها عزيزة وشريفة ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم
شيبتنى سورة هود وهذه اشارة الى قوله تعا فاستقم كما امرت ولا
يذهب عليك ان اهدنا سؤال ودعاء من العبد والله يهدى من يشاء
الى صراط مستقيم صراط الذين انعمت عليهم بالاستقامة بعد الهداية
ولما كان الطرق الى الله بعدد انفاس الخلايق بين الله تعا ان الصراط
المستقيم هو النهج الذى هدى الله اليه خواص عباده وهم الذين انعم الله
عليهم بكشف الحقيقة كما فى قوله ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم قال
ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما فهذه المراتب الاربعة كالاجناس
والانواع لما تحتها من مراتب السعداء والصلحاء فيكون هذا نوع الاخير
وفى تكرير الصراط فائدة وهى التنبيه بان الصراط على قسمين صراط من
العبد الى الرب وهو طريق مخوف كم قطع فيه القوافل وانقطع به الرواحل
كما قال الله تعا حكاية عن قاطع هذا الطريق لاقعدن لهم صراطك المستقيم
ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وصراط
من الرب فهو طريق امن وسالكه محفوف بالكرامة وعابره موصل بالسلامة
والانعام عبارة عن ايصال المنفعة الى الغير على جهة الامة ولما ايصال
النفع الذى كان بجلب المنافع ودفع المضار فهو لا يسمى انعاما لان فيه
غرضا كما لا يخفى فعلى وجه الاول يعلم منه ان المنعم هو الله تعا لانه تعا منعم
بلا عوض ولا غرض ونعم الله وان كانت لا تحصى ولكن النعم الواصلة
الى عباده على قسمين نعم ذاتية ونعم اسمائية فالنعم الذاتية كل ما يطلبه
الاشياء من الحق من حيث حقايقها بالسنة استعداداتها الكلية الغيبية

وهذه السنة الذوات لا تأخر عنها الاجابة ولا تعويق فى حقها بل هى اجابة
ذاتية كالسؤال فى عين المسؤل وهذه النعم من حيث الاصل نعمة واحدة
وتعددها انما هو من حيث تكيفها وتنوعها فى مرتبة كل حقيقة وبحسبها والنعم
الاسمائية على انواع تنحصر فى جنسين دنيوى واخروى وكل واحد منهما اما
ظاهرة او باطنة كما فى قوله تعا واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فا
لاولى كتخليق الانسان ونفخ الروح فيه واشراقه بالعقل ونبوة الانبياء
عليهم السلام بانزال الكتب وبتوفيق العامة بقبول دعوة الرسل وبتزكية
النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات المرضية بامتثال ما امره
الله والاجتناب عما نهى عنه والاثبات على قدم الصدق والاخلاص فى العبودية
والثانية كانعام الله تعا على اطلاع الاسرار بانواع العناية وعلى الارواح
باسرار الهداية فى بداية الفطرة باصابة رشاش نوره كما فى قوله عليه السلام
ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصاب به من ذلك النور
فقد اهتدى ومن لم يقع عليه ذلك النور فقد ضل فكان فتح باب صراط الله
رشاشا من ذلك النور ليعرف بذلك النور اذ بالحق يعرف الحق كما فى قوله عليه
عليه السلام عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى ولا يلزم منه النقصان
بما ذكرناه كالشمس بشعاعها تعرف وهذا كمال للشمس وانما يكون لها نقص
لو وجد لها شمس اخرى تشاركها او تضاهيها فالله عز شانه عال عن التنظير
علوا كبيرا ولا يذهب عليك ان مجموع النعم الاسمائية ايضا بالعناية الذاتية
والاستعداد الكلى الغيبى يتم التحقق بالنسبة الى الكمل والكمال اللائق
بالنسبة الى من سواهم بما هو اهل له فاضافة الصراط الى العباد تدل على انهم
اختيارا وانهم مخصوصون بالهداية واضافة الانعام الى الله تعالى لتخصيص
الهداية له تعا وبهاتين الاضافتين بطل الجبر والقدر واخرج ابن جرير وابن
ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعا صراط الذين انعمت عليهم

انه قال هو طريق من انعمت عليهم من الملائكة والنبيين والصديقين و
الشهداء والصالحين الذين اطاعوك وعبدوك وقيل معناه اى انعمت
على العارفين بالمعرفة وعلى الاولياء بالصفوة وعلى الابرار بالحلم و
الرقات وعلى المريدين بحلاوة الطاعة وعلى الموحدين بالاستقامة
وقيل انعمت عليهم بمشاهدة جمال المنعم دون النعمة انتهى غير المغضوب عليهم
ولا الضالين هذا كمال اللطف والكرم والامتنان من الله تعا على عباده
بانه ارشدهم الى المسئلة بعد طلب زيادة الهداية على الصراط المستقيم
وهو طلبهم ان لا تسلب النعمة العظمى عنهم لان كمال النعمة ان لا تسلب عن
المنعم عليه فكان السالك يطلبها صريحا توفيق الهداية والثبات على الصراط
المستقيم وضمنا البعد عن المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى
ان رحمته تعا سبقت على غضبه فالائق للعبد فى هذه المسئلة ان يكون
مقصده الاقصى الثبات على طريق الاستقامة راجيا بها عفوه و
غفرانه امتثالا بقوله تعا قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وخائفا
عن غضبه الذى هو اخذ الانتقام عن المغضوب عليهم وعن الضالين
تفكرا فى قوله تعا ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون فيكون ايمانه حاصلا
بين الرجاء والخوف واخرج وكيع عبد ابن حميد وابن جرير عن عبد الله بن
شقيق العقيلى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصر اهل وادى
القرى فقال رجل يا رسول الله من هؤلاء قال عليه السلام هؤلاء
المغضوب عليهم يعنى اليهود وقال ومن هؤلاء وقال عليه السلام هؤلاء
الضالون يعنى النصارى واعلم ان هذا الحديث وان دل بحسب الظاهر
على ان المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى ولكنه فى الحقيقة
ليس كذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم اراد التغليظ بذلك القول

عليهما والتشبيه بشياطين الجن لان المغضوب عليهم والضالين غير منحصرين بهما
كما لا يخفى فان حكم الغضب الالهى بتكميل مرتبة القبضة الشمالى فانه وان كانت
كلتا يديه المقدستين يمينا مباركة لكن حكم كل واحدة منهما يخالف الاخر كما فى
قوله تعا والارض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه فاليد الواحدة المضاف
اليها عموم رحمة السعداء وللاخرى المضاف اليها القهر والغضب ولوازمهما
ولكل واحدة منهما دولة وسلطنة يظهر حكمها فى السعداء القائمين بشرط
العبودية ومراعات حقوق الربوبية حسب الاستطاعة وفى الاشقياء المعتدين
الجائرين المنحرفين عن سنن الاعتدال المفرطين بترك رعاية حقوق الالوهية
فلا جرم انهم استحقوا العقاب بسبب ذلك المذكور لاتصال احكام الغضب
بهم ولان يكونوا هدفا لسهمه ومن اسمائه تعا الحكم والعدل فهما يوجبان نحو
الالوهية ويحكمان بينهما وبينهم بالغضب عليهم لكونهم جاهلا عن سر الالوهية
فلولا سبق الرحمة على الغضب ما تاخرت عنهم السطوات الالوهية واليه
اشار عز شانه بقوله ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من
دابة الاية ولكن استواء الرحمة العامة من حيث اسمه الرحمن على العرش المحيط
بصور العالم ولحدية الفعل من الفاعل من حيث الاصل منع هذه العقوبة
عاجلا فتاخرت سلطنة الحكم والعدل الى يوم القيمة الذى هو يوم الكشف
والفصل والقضاء الظاهر فيظهر فيه الامر تماما لهم ولهذا قال سبحانه وتعا
مالك يوم الدين اى قاضى يوم الحساب كما ذكرنا قبل والخطاب فى اياك والدعاء
فى اهدنا لابد للقارئ فيهما ان يكون بتوجه تام وحضور قلب فمن كان
فى خطابه ودعائه وصلوته يشهد الغير معرضا عن شهود الحق فلا يكون مناجيا
ولا داعيا ولا مصليا ربه لانه تعا لا يناجى بالالفاظ فقط بل انما يناجى بالحضور
التام وبكل الجوارح اذا الداعى والمصلى اذا قال الحمد لله رب العالمين بلسانه
فقط فلا يستحق قوله تعا حمدنى عبدى بل يستحق حمدنى لسان عبدى بتقدير المضاف

وانما يستحق لذلك القول اذا حمده عبده بجميع جوارحه فيكون حامداً لله تعالى
فيستحق قوله تعالى حمدني عبدي هذا للعوام واما العارف بالله تعالى فهو لم
ير نفسه اهلاً لمناجاة ربه الا بعد طهارة المعنوي امتثالاً لقوله تعالى
وثيابك فطهر اي فاجعل قلبك مطهرا فشبه القلب بالثوب اذ من شانه
ان يتخيل فيكون استعارة مكنية على مذهب من انها عنده هي التشبيه
المضمر في النفس واثبات ملايم الثوب عليه يكون تخييلية واعلم ان المراد
بتطهير القلب هنا هو البراء عن نفسه ورد الامور كلها الى الله تعالى
فيحري للانسان اذا قرأ هذه الاية ان يستحضر في نفسه معاني ما فيها
على قدر فهمه حتى يكون الجواب مطابقا لما استحضره فلا يفوتك هنا
المقدار في القراءة اذ به يتميز مراتب العلماء بالله في الناس في دعائهم و
صلوتهم ولهذا تختلف احوال الذاكرين في صلوتهم ومناجاتهم واجابة
الحق لهم بحسب مراتبهم اخرج الدارقطني والديلمي عن ابي هريرة رضي الله
عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي قسمت هذه
السورة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم فيقول الله
تعالى ذكرني عبدي اذا كان قوله بعينه وجميع جوارحه واما ان كان بلسانه فقط
فبتقدير المضاف كما ذكرنا قبل كما في قوله عليه السلام ان في جسد ابن ادم لمضغة
اذا صلحت بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب
اذ العبد ليس عبارة عن اللسان فقط بل عن الشخص الذاكر بجميع اعضائه مثلاً و
اذا قال العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز شانه حمدني عبدي واذا قال
الرحمن الرحيم فيقول الله تعالى اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين فيقول
مجدني عبدي واذا قال مالك يوم الدين فيقول مجدني عبدي وفي بعض الروايات
فوض الي عبدي اموره ولكل وجهة والاول للخواص لان التمجيد لجنابه تعالى
من حيث ما يقتضيه ذاته ومن حيث ما يقتضيه نسبة العالم اليه والثاني

للعوام

للعوام كما لا يخفى فهذا النصف كله لله تعالى ليس فيه شيء للعبد واذا قال اياك
نعبد واياك نستعين فيقول هذه الاية بيني وبين عبدي نصفين واذا قال
اهدنا الى اخر السورة فيقول لعبدي وله ما سال لان هذه الاية تدل على عابد
ومعبود ومستعين ومستعان منه فلا بد للعارف ان يعبده ويستعين
منه بقلبه ولسانه وبجميع جوارحه بحيث انه حاضر في مناجات ربه حتى يقال له
صدقت في قولك ومتى لم يكن المصلي كان كاذبا في قراءته لان الله يراه ملتفتا
في صلوته الى غيره تعالى وهو مع هذا يقول اياك فيقول الله تعالى تكذيبا و
توبيخا كذبت في عبادتك علي لانك الم تلتفت ببصرك الم تصنع بسمعك الم تشغل
بفكرك فاين صدقك بالحصر والقصر في قولك اياك فالاحرى له ان يكون
حاضرا بجمعيته قلبه وجوارحه في قوله اياك لئلا يقال له كذبت عصمني الله
واياكم عن هذه الغفلة امين واعلم ان امين اسم الفعل الذي هو استجب وجاء بمد
الالف وقصرها قال المجنون بني عامر يا رب لا تسلبني حبها ابدا ويرحم الله
عبدا قال امينا وانه ليس من القران اتفاقا ولكن يسن بختم الفاتحة لقوله
عليه السلام علمني جبريل عليه السلام امين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال عليه
السلام انه كالختم على الكتاب قال اسماعيل ابن مسلم وكان الحسن معه اذا سئل
عن امين ما تفسيره فقال اللهم استجب وفي رواية اخرى لمسلم عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين
فقولوا امين فان الملائكة تقول امين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له
ما تقدم من ذنبه واخرج الديلمي عن انس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ فاتحة الكتاب ثم قال امين
لم يبق ملك مقرب في السماء الا استغفر له واخرج الطبراني في الدعاء وابن عدي
عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امين
خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين والحاصل ان العبد اذا قرأ سورة

الفاتحة بحضور القلب تقول الملائكة آمين ويقول باطن الانسان الذى
هو روحه المشارك فى النشأة بالملائكة بانهم كانوا ارواحا امين فحينئذ
تحصل الموافقة المذكورة فى قوله عليه السلام من وافق تأمينه تأمين
الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ثم اعلم لما كانت الحسنات تحبطها السيئات
كالرياء والشرك كما فى قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك والسيئات تحبطها
الحسنات كما فى قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات جعل الله تفضلا و
احسانا على عباده آمين ختم قراءة الفاتحة المشتملة على كنوز المعارف
اشارة الى ان خاتمة امرهم ثابتة على الصراط المستقيم وقراءتهم محفوظة
محروزة الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين امين ثم الحمد لمن صدر منه
الحمد ووقع عليه الحمد من الذات للذات فى الذات والشكر على من انعم
على باتمام هذا المؤلف الذى جمع من مؤلفات المحققين والمؤولين
لاسيما من تفسير المسمى بجامع الاسرار ومن كلمات
الاحرار والابرار قد جمعته بمحبة النبى المختار حقيق
بان يشتاق اليه العلماء الاخيار ذوى الايدى
والابصار وصلى الله على خير خلقه واتم خلقه محمد
وعلى اله وصحابته الاطهار وسلم تسليما
كثيرا اناء الليل واطراف النهار قد
وقع تمامه فى غرة شعبان
المعظم فى سنة اربع و
اربعين ومائة
بعد الف
تمت